بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القيامة مكية

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾.

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد ﷺ. فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال: ﴿وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب﴾[1] يعني: أنهم كانوا يعدّون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرّقهم عن الحق ولا أقرّهم على الكفر إلا مجيء الرسول ﷺ. ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست بمنفكٍ مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى، فيرزقه الله الغنى، فيزداد فسقًا، فيقول واعظه: لم تكن منفكًا عن الفسق حتى توسر، وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار، ينكره ما كان يقوله توبيخًا وإلزامًا. وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله، والمعنى: أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة. و﴿البينة﴾ الحجة الواضحة.

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾.

﴿رسول﴾ بدل من البينة. وفي قراءة عبد الله رسولاً حالاً من البينة. ﴿صحفًا﴾ قراطيس، ﴿مطهرة﴾ من الباطل.

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾.

﴿فيها كتب﴾ مكتوبات ﴿قيمة﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل. والمراد بتفرّقهم تفرّقهم عن الحق وانقشاعهم عنه، أو تفرّقهم فرقًا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر. وقال: ليس به ومنهم من عرف وعاند.

فإن قُلْتَ: لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أوّلاً؟ ثم أفرد أهل الكتاب في قوله: ﴿وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب﴾؟ **قُلْتُ:** لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرّق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف.

وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾.

﴿وما أمروا﴾ يعني: في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرّفوا وبدلوا ﴿ونلك دين القيمة﴾ أي: دين الملة القيمة. وقرئ*: ونلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾.

فإن قُلْتَ: ما وجه قوله: وما أمروا إلا ليعبدوا الله؟ **قُلْتُ:** معناه. وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾.

وقرأ ابن مسعود: إلا أن يعبدوا. بمعنى بأن يعبدوا. قرأ نافع البريئة بالهمز والقرّاء على التخفيف. والنبيّ والبرية مما استمرّ الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل. وقرئ*: خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جمع جيد وطيب. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساءً ومقيلاً»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الزلزلة مختلف فيها

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾.

﴿زلزالها﴾ قرئ*: بكسر الزاي وفتحها، فالمكسور مصدر، والمفتوح اسم. وليس في الأبنية فعلاً بالفتح إلا في المضاعف.

فإن قُلْتَ: ما معنى زلزالها بالإضافة؟ **قُلْتُ:** معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. ونحوه قولك: أكرم التقى إكرامه، وأهن الفاسق إهانته. تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة. أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه.

وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾.

الأثقال: جمع ثقل وهو متاع البيت، وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها.

وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾.

﴿وقال الإنسان ما لها﴾ زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع. كما يقولون: من بعثنا من مرقدنا؟ وقيل: هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأمّا المؤمن فيقول: ﴿هذا

(1) سورة البيّنة، الآية: 4.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم 4/257.